[اَلْحِرْصُ عَلَى حَقِّ اللهِ تَعَالَى فِي الْمَعْرِفَةِ وَالتَّوْحِيدِ وَالْإِخْلَاصِ]

اَلْخُطْبَةُ الْأُولَى:

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ طِينٍ، وَرَفَعَ شَأْنَهُ فَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ، وَدَعَاهُ عَنْ طَرِيقِ الْوَحْيِ وَإِرْسَالِ الرُّسُلِ لِلْإِنَابَةِ إِلَيْهِ، وَنَصَبَ الْآيَاتِ لِلدِّلَالَةِ عَلَيْهِ، نَحْمَدُهُ تَعَالَى أَنْ هَدَانَا لِهَذَا، وَمَا كُنَّا لَنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللهُ، وَنَشْكُرُهُ عَلَى نِعَمِهِ الْكَثِيرَةِ، وَنُصَلِّي وَنُسَلِّمُ عَلَى مَنْ بُعِثَ بِالتَّوْحِيدِ وَتَجْدِيدِ مَآثِرِ النُّبُوَّاتِ، فِي مَعْرِفَةِ اللهِ تَعَالَى وَإِخْلَاصِ الْعُبُودِيَّةِ لَهُ فِي الْخَلَوَاتِ وَالْجَلَوَاتِ، وَالرِّضَا عَنْ آلِهِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ، وَأَصْحَابِهِ الْمُهْتَدِينَ الْخِيرَةِ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ فِي الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ وَالْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ، مَا رُفِعَ نِدَاءُ التَّوْحِيدِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ.

أَمَّا بَعْدُ، أَيُّهَا الْإِخْوَةُ فِي الْإِيمَانِ؛ فَيَقُولُ اللهُ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿فَاعْلَمَ اَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُومِنِينَ وَالْمُومِنَاتِ وَاللهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾.

عِبَادَ اللهِ؛ إِنَّ الْأَسَاسَ الْأَكْبَرَ الَّذِي تَتَوَخَّى (خُطَّبةُ الجمعة) تَحْقِيقَهُ، وَتَتْبَنِـــي عَلَيْهِ كُلُّ أُصُولِ الشَّرِيعَةِ وَفُرُوعِهَا، وَالرُّكْنَ الرَّكِينَ الَّذِي تَتَأَسَّسُ عَلَيْهِ تَصَرُّفَاتُ الإِنْسَانِ بِجَمِيعِ أَنْوَاعِهَا، وَأَوَّلَ وَاجِبٍ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَعْلَمَهُ قَبْلَ أَيِّ وَاجِبٍ آخَرَ مِنْ وَاجِبَاتِ التَّكْلِيفِ الْمُتَنَوِّعَةِ؛ هُوَ مَعْرِفَةُ اللهِ تَعَالَى؛ اَلَّذِي هُوَ مِفْتَاحُ الْمَعَارِفِ وَالْعُلُومِ، وَبَوَّابَةُ الْفَلَاحِ وَالْفَوْزِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، مِصْدَاقًا لِلْآيَةِ الْكَرِيمَةِ السَّابِقَةِ الدَّاعِيَةِ إِلَى الْعِلْمِ بِاللهِ تَعَالَى وَتَوْحِيدِهِ، وَمَا يُثْمِرُ هَذَا الْعِلْمُ مِنَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ.

عِبَادَ اللهِ؛ قَدْ تَقَرَّرَ فِي عِلْمِ الْعَقَائِدِ أَنَّ أَوَّلَ وَاجِبٍ عَلَى الْمُكَلَّفِ مَعْرِفَةُ اللهِ تَعَالَى، وَأَنَّ أَثَرَ الْإِيمَانِ فِي الْعَمَلِ الصَّالِحِ هُوَ عَلَى قَدْرِ الْعِلْمِ بِهِ سُبْحَانَهُ، وَعَلَى قَدْرِ خَشْيَتِهِ؛ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (وَاللهِ إِنِّي لَأَعْلَمُكُمْ بِاللهِ – عَزَّ وَجَلَّ – وَأَخْشَاكُمْ لَهُ). إِذْ تَقْتَضِي الْعِبَادَةُ اقْتِضَاءً لَازِمًا مَعْرِفَةَ الْمَعْبُودِ؛ مَعْرِفَةَ شُعُورٍ وَاسْتِحْضَارٍ دَائِمَيْنِ، وَإِلَّا كَانَ الْعَابِدُ عَابِثًا فِي عِبَادَتِهِ، وَمُتَرَدِّدًا فِي صِحَّةِ مَا يَفْعَلُ، وَقَابِلًا لِلتَّفْرِيطِ فِي مِلَّتِهِ، وَضَعِيفًا أَمَامَ هَوَى نَفْسِهِ الْأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ؛ لِجَهْلِهِ بِالْمَعْبُودِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وَلِهَذَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ تَرْكِيزُ الْجُهُودِ فِي تَرْبِيَةِ النَّاشِئَةِ عَلَى مَعْرِفَةِ اللهِ مَعْرِفَةً صَحِيحَةً؛ مَبْنِيَّةً عَلَى الْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ الَّتِي جَمَعَتْ بَيْنَ وَصْفِ اللهِ تَعَالَى بِمَا يَلِيقُ بِجَنَابِهِ وَجَلَالِهِ وَكَمَالِهِ، وَتَنْزِيهِهِ عَمَّا لَا يَحِلُّ وَصْفُهُ بِهِ مِنَ الصِّفَاتِ الَّتِي لَا تَلِيقُ بِمَنِ اتَّصَفَ بِالْجَمَالِ وَالْكَمَالِ وَالْجَلَالِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ لَهُ الْعَظَمَةُ وَالْكِبْرِيَاءُ وَالْمُلْكُ وَالسَّنَاءُ.

إِنَّ هَذِهِ الْمَعَانِيَ رَاسِخَةٌ فِي عَقِيدَةِ اهل السنة والجماعة الْمُؤَطَّرَةِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ، اَلْبَعِيدَةِ عَنِ التَّشْبِيهِ وَالتَّعْطِيلِ وَالْإِلْحَادِ فِي أَسْمَاءِ اللهِ الْحُسْنَى وَصِفَاتِهِ

الْعُلَى، اَلْوَاقِفَةِ عِنْدَ حُدُودِ اللهِ فِيمَا لَا تَبْلُغُهُ الْعُقُولُ، وَلَا تَدُلُّ عَلَيْهِ النُّقُولُ، اَلْـمُحَصِّنَةِ مِنَ الْأَهْوَاءِ، وَالْـمُجَانِبَةِ لِلْجِدَالِ وَالْـمِرَاءِ، وَالْآخِذَةِ بِمَجَامِعِ النُّصُوصِ فِي عَدَمِ التَّكْفِيرِ بِالذَّنْبِ مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ أَوْ يَكُنْ شِرْكًا؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِـمَنْ يَّشَاءُ﴾. وَقَوْلِهِ ﷺ: (ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ ذَرَّةً).

وَحِينَئِذٍ تُؤْتِي هَذِهِ الْـمَعْرِفَةُ ثِمَارَهَا الْـمَرْجُوَّةَ؛ مِنَ التَّقْوَى، وَالْـمُرَاقَبَةِ، وَالإِحْسَانِ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَاعْتِبَارِ سَائِرِ الْحَرَكَاتِ وَالسَّكَنَاتِ عِبَادَةً، سَوَاءٌ تَعَلَّقَتْ بِالْعِبَادَةِ الْـمَحْضَةِ لِلَّهِ تَعَالَى، أَوْ بِالتَّعَامُلِ مَعَ الْعِبَادِ؛ فَلَيْسَ شَيْءٌ يُسْتَثْنَى مِنْ أَفْعَالِ الْعِبَادِ وَأَقْوَالِهِمْ وَنِيَّاتِهِمْ إِلَّا وَهُوَ يَدْخُلُ تَحْتَ مُسَمَّى الْعِبَادَةِ، مَأْجُورًا عَلَيْهِ فِي سَائِرِ الْأَحْوَالِ إِنْ أَخْلَصَ وَأَصَابَ؛ كَمَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْجَامِعَةِ الْفَذَّةِ: ﴿فَمَنْ يَّعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَّعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾.

بَارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَنَفَعَنَا بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، آمِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَـمِينَ.

اَلْخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَـمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْـمُرْسَلِينَ، سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

عِبَادَ اللهِ؛ إِذَا كَانَتْ مَعْرِفَةُ اللهِ تَعَالَى رَأْسَ الْأَمْرِ وَعَمُودَهُ الَّذِي يَنْبَنِي عَلَيْهِ مَا بَعْدَهُ، فَمَا السَّبِيلُ إِلَى هَذِهِ الْـمَعْرِفَةِ؟، وَكَيْفَ يُمْكِنُ لِكُلِّ مُسْلِمٍ اِلْحُصُولُ عَلَيْهَا لِيَصِحَّ إِيمَانُهُ وَتَنْعَقِدَ عَقِيدَتُهُ انْعِقَادًا لَا تُزَعْزِعُهُ الرِّيَاحُ الْعَاتِيَةُ، وَيَظْهَرَ ذَلِكَ فِي أَعْمَالِهِ الصَّالِحَةِ، وَلَا تُشَوِّشَ عَلَيْهِ الْتِيَّارَاتُ الْوَافِدَةُ؟

ذَلِكَ أَمْرٌ يَسِيرٌ – عِبَادَ اللهِ -؛ فَبَابُ الْإِيمَانِ كِتَابٌ مَسْطُورٌ، وَكِتَابٌ مَنْظُورٌ؛ فَالْكِتَابُ الْـمَسْطُورُ هُوَ كِتَابُ اللهِ وَسُنَّةُ رَسُولِهِ ﷺ، وَالْكِتَابُ الْـمَنْظُورُ هُوَ هَذَا الْكَوْنُ الْـمَفْتُوحُ لِلنَظَرِ وَالتَّأَمُّلِ وَالِاعْتِبَارِ؛ فَالْقُرْآنُ الْكَرِيمُ – كَمَا سَبَقَ – دَعَا إِلَى الْعِلْمِ بِوَحْدَانِيَّةِ اللهِ تَعَالَى، وَإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ سُبْحَانَهُ، وَكَذَلِكَ الرَّسُولُ ﷺ دَعَا النَّاسَ إِلَى تَوْحِيدِ اللهِ، وَعَدَمِ الْإِشْرَاكِ بِهِ جَلَّ شَأْنُهُ.

وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ دَعْوَةً إِلَى تَقْلِيدٍ أَعْمَى، وإِنَّمَا دَعْوَةٌ إِلَى النَّظَرِ وَالتَّأَمُّلِ فِي الْبَرَاهِينِ الَّتِي أَقَامَهَا تَعَالَى عَلَى وُجُودِهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ فِي الْكِتَابِ الْـمَنْظُورِ (الْكَوْنِ)، وَأَعْطَى لِلْإِنْسَانِ مِنْ أَدَوَاتِ الْبَحْثِ وَالتَّدَبُّرِ مَا يَكْفِي لِلْوُقُوفِ عَلَى الْحَقِيقَةِ؛ قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالَابْصَارَ وَالَافْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾؛ فَالسَّمْعُ وَالْبَصَرُ وَالْفُؤَادُ هِيَ أَدَوَاتُ الْـمَعْرِفَةِ الْـمُوَصِّلَةُ إِلَى مَعْرِفَةِ اللهِ تَعَالَى؛ اِمْتِثَالًا لِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ:

﴿قُلْ سِيرُواْ فِي الَارْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾. وَقَوْلِهِ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَانُ مِنْ مِمَّ خُلِقَ﴾.

وَبِهَذَا أَدْرَكَ الْخَلِيلُ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْحَقِيقَةَ؛ بَعْدَ النَّظَرِ فِي الْكَوْكَبِ وَالْقَمَرِ وَالشَّمْسِ، وَخَلَصَ إِلَى تَوْحِيدٍ خَالِصٍ فَقَالَ: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِـــيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالَارْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْـمُشْرِكِينَ﴾.

فَإِذَا حَصَّلَ الْـمُسْلِمُ الْـمَعْرِفَةَ بِاللَّهِ تَعَالَى عَنْ طَرِيقِ النَّقْلِ وَالنَّظَرِ، حَصَلَتْ لَهُ الْخَشْيَةُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى؛ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾. وَبِحُصُولِ الْخَشْيَةِ تَسْتَكِينُ الْجَوَارِحُ لِطَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى، فَيَقُومُ بِحَقِّ اللَّهِ تَعَالَى عُبُودِيَّةً، وَبِحَقِّ النَّاسِ مُعَامَلَةً، وَيَتَّسِمُ بِحُسْنِ الْخُلُقِ فِي سَائِرِ الْأَحْوَالِ؛ وَتِلْكَ هِيَ ثَمَرَةُ الْإِيمَانِ الْغَالِيَةُ، وَهِيَ الْغَرَضُ الْـمَنْشُودُ مِنْ كُلِّ كِتَابٍ أُنْزِلَ، وَمِنْ كُلِّ دَعْوَةِ نَبِيٍّ أُرْسِلَ، وَهِيَ مُيَسَّرَةٌ غَايَةَ التَّيْسِيرِ لِـمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا.

وَفِي الْخِتَامِ؛ اتْقُوا اللهَ - عِبَادَ اللَّهِ -وصَلُّواْ وَسَلِّمُواْ عَلَى الْهَادِي الْأَمِينِ وَالسِّرَاجِ الْـمُنِيرِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَنَبِيِّكَ وَرَسُولِكَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ إِمَامِ أَهْلِ التَّوْحِيدِ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الْـمُتَجَرِّدِينَ لِنُصْرَتِهِ وَتَأْيِيدِهِ غَايَةَ التَّأْيِيدِ، فَوُسِمُواْ بِالْهِجْرَةِ وَالنُّصْرَةِ فِي كِتَابِكَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَعَنْ أَتْبَاعِهِمْ وَالْآخِذِينَ بِسُنَنِهِمْ، اَلسَّائِرِينَ عَلَى سَنَنِهِمْ مَا تَعَاقَبَتِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامُ، وَانْصُرِ اللَّهُمَّ مَنْ قَلَّدْتَهُ أَمْرَ عِبَادِكَ،وَلِيَّ أَمْرِنَا خَادِمَ الْحَرَمَيْنِ الْشَرِيْفَيْنِ، نَصْرًا عَزِيزًا تُعِزُّ بِهِ دِينَكَ، وَتَرْفَعُ بِهِ شَأْنَ عِبَادِكَ الْـمُؤْمِنِينَ، مَحْفُوظًا فِي جَنْبِكَ الَّذِي لَا يُضَامُ، مَوْفُورَ الصِّحَّةِ وَالْعَافِيَةِ، قَرِيرَ الْعَيْنِ بِيَدِ وَلِيِّ عَهْدِهِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ مُجِيبٌ، اَللَّهُمَّ اشْرَحْ صُدُورَنَا بِنُورِ مَعْرِفَتِكَ، وَارْزُقْنَا عِلْمًا نَافِعًا يُقَرِّبُنَا إِلَى بَابِكَ، وَأَلْهِمْنَا الرُّشْدَ وَالصَّوَابَ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَأَعِنَّا عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ، اَللَّهُمَّ أَذِقْنَا بَرْدَ عَفْوِكَ وَحَلَاوَةَ مَغْفِرَتِكَ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْـمُؤْمِنَاتِ؛ اَلْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَّدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا، رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ، سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْـمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَـمِينَ.